

## تفسير السعدي

@ 256 @ علم ا الشامل ، لجميع الأشياء ، وكتابه المحيط بجميع الموجودات ، ومشئته  
وقدرته العامة النافذة في كل شيء ، وخلقه لجميع المخلوقات ، حتى أفعال العباد . ويحتمل  
أن المراد بالكتاب ، هذا القرآن ، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى : ^ ( ونزلنا عليك  
الكتاب تبياناً لكل شيء ) ^ . وقوله : ! 2 2 ! أي : جميع الأمم تجمع وتحشر إلى ا في  
موقف القيامة ، في ذلك الموقف العظيم الهائل . فيجازيهم بعدله وإحسانه ، ويمضي عليهم  
حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ، أهل السماء وأهل الأرض . ! 2 2 ! هذا بيان لحال  
المكذبين بآيات ا ، المكذبين لرسله ، أنهم قد سدوا على أنفسهم باب الهدى ، وفتحوا باب  
الردى . وأنهم ! 2 2 ! عن سماع الحق ! 2 2 ! عن النطق به ، فلا ينطقون إلا بالباطل . !  
2 2 ! أي : منغمسون في ظلمات الجهل ، والكفر ، والظلم ، والعناد ، والمعاصي . وهذا من  
إضلال ا إياهم ، فإنه ! 2 2 ! لأنه المنفرد بالهداية والإضلال ، بحسب ما اقتضاه فضله  
وحكمته . ! 2 2 ! يقول تعالى لرسوله : ! 2 2 ! للمشركين با ، العادلين به غيره : !  
2 2 ! أي : إذا حصلت هذه المشقات ، وهذه الكروب ، التي يضطر إلى دفعها ، هل تدعون  
آلهتكم وأصنامكم ، أم تدعون ربكم الملك الحق المبين . ! 2 2 ! . فإذا كانت هذه حالكم  
مع أندادكم عند الشدائد ، تنسونهم ، لعلمكم أنهم لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ،  
ولا حياة ، ولا نشوراً . وتخلصون ا الدعاء ، لعلمكم أنه هو الضار النافع ، المجيب لدعوة  
المضطر . فما بالكم في الرخاء ، تشركون به ، وتجعلون له شركاء ؟ هل دلكم على ذلك ، عقل  
أو نقل ، أم عندكم من سلطان بهذا ؟ أم تفترون على ا الكذب ؟ ^ ( ولقد أرسلنا إلى أمم  
من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون \* فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ول كن  
قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون \* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم  
أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون \* فقطع دابر القوم  
الذين ظلموا والحمد ا رب العالمين ) ^ يقول تعالى : ! 2 2 ! من الأمم السالفين ،  
والقرون المتقدمين ، فكذبوا رسلنا ، وجدوا بآياتنا . ! 2 2 ! أي : بالفقر والمرض  
والآفات ، والمصائب ، رحمة منا بهم . ! 2 2 ! إلينا ، ويلجأون عند الشدة إلينا . ! 2  
! أي : استجرت فلا تلين للحق . ^ ( وزين له الشيطان ما كانوا يعملون ) ^ فظنوا أن  
ما هم عليه ، دين الحق فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان ، ولعب بعقولهم الشيطان . ^ ( فلما  
نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ) ^ من الدنيا ولذاتها وغفلاتها . ! 2  
! أي : آيسون من كل خير ، وهذا أشد ما يكون من العذاب ، أن يؤخذوا على غرة ، وغفلة

وطمأنينة ، ليكون أشد لعقوبتهم ، وأعظم لمصيبتهم . ! 2 2 ! أي : اصطلموا بالعذاب ،  
وتقطعت بهم الأسباب . ! 2 2 ! على ما قضاه وقدره ، من هلاك المكذبين . فإن بذلك ، تتبين  
آياته ، وإكرامه لأولياءه ، وإهانته لأعدائه ، وصدق ما جاءت به المرسلون . ^ ( قل أرأيتم  
إن أخذنا سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غيرنا يأتاكم به انظر كيف نصرف  
الآيات ثم هم يصدفون \* قل أرأيتم إن أتاكم عذابنا بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم  
الظالمون ) ^ يخبر تعالى ، أنه كما هو المتفرد بخلق الأشياء وتديرها ، فإنه المنفرد  
بالوحدانية والإلهية فقال : ! 2 2 ! فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل ! 2 2 ! . فإذا لم  
يكن غيرنا ، يأتي بذلك ، فلم عبدتم معه من لا قدرة له على شيء إلا إذا شاءه . وهذا  
من أدلة التوحيد وبطلان الشرك ، ولهذا قال : ^ ( انظر كيف